مركز القطن السورى بين أقطان العالم

للمهندس الزراعى اميل توفيق

خبير تصنيف القطن ومراقبة تصديره

لدى وزارة الزراعة بإقليم سورية

قبل أن أتحدث عن مركز القطن السورى بين أقطان العالم ، أجد لزاما على أن أشرح أولا الدور الذى أداه القطن للعالم فى الخمسين سنة الأخيرة . وأهم العوامل التى تلعب دورا حثيثا فى التأثير على مستوى أسعاره ، ودور إقليم سورية فى إنتاج هذا المحصول وأهميته .

أخذت مساحات القطن فى العالم تتزايد خلال الخمسين سنة الأخيرة تزايدا كبيرا فى مساحات واسعة بمناطق مختلفة لأسباب متعددة من بينها التجاء بعض الدول المستهلكة للقطن إلى زراعته لحسابها بإحداث مشاريع عديدة ، ونشاط الشركات الزراعية التى قامت للنهوض بإنتاج القطن ببعض الدول كالسودان ، وأوغندا ، وتنجانيكا وبعض بلدان جنوب أفريقيا التى ضاعفت إنتاجه من ٨٠ ألف بالة إلى مليون و ٢٠٠ ألف بالة .

أما البلدان التى تعتبر إنتاجها للقطن أساسيا فقد أدت فى زيادة الإنتاج دورا ذا أهمية عظيمة بما رسمه كل منها من سياسة معينة لزراعته بالطرق الفنية السليمة التى زادت فى معدل إنتاجه وحسن خواصه .

فإذا ما نظرنا إلى إنتاج القطن فى روسيا مثلا رأينا أن محصولها كان ١٠٦٨ بالة فى عام ١٩١٣ فأصبح فى عام ١٩٥٦ ستة ملايين بالة و ٤٠٠ ألف بالة ، وبهذا احتلت روسيا فى كمية الإنتاج المرتبة الثانية فى العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية .

وإنتاج روسيا من القطن يكفى أو يقل أحيانا عن الكمية التى تحتاج إليها

جمهوريات الاتحاد السوفياتى لاستهلاكها المحلى ، وهذا يضطرها لاستيراد الكمية الباقية لسد حاجتها من بعض البلدان المنتجة للقطن ومن بينها إقليما مصر وسورية من الجمهورية العربية المتحدة .

وقد قدرت كمية المخزون لدى الحكومة الأمريكية فى بداية الموسم الحالى بنحو ١١ مليون بالة ، فإذا أضفنا إليها المحصول الحالى أصبح المعروض فى هذا الموسم يقدر بنحو ٢٢ مليون بالة ، وهذه الكمية تفى بل تزيد كثيرا عن حاجة الاستهلاك المحلى والتصدير .

والسياسة القطنية الأمريكية لا تهم المزارع الأمريكى فحسب ، بل تهم أيضاً منتجى القطن ومستهلكيه على السواء فى الدول التى خارج الولايات المتحدة ، لأن هذه الدول غالبا ما تتخذ لنفسها سياسة تتفق وما يلائمها حسب ما تراه فى السياسة الامريكية .

فلقد أغرقت الولايات المتحدة مثلا أسواق العالم فى الموسم الماضى ١٩٥٧/٥٦ بكمية من صادرات القطن بلغت سبعة ملايين و٧٢٣ ألف بالة مقابل مليونين و٢١٥ ألف بالة فى الموسم الأسبق أى ١٩٥٦/٥٥ .

وقد أدى هذا الازدياد غير الطبيعى المسجل فى صادرات الولايات المتحدة خلال سنة ١٩٥٧/٥٦ إلى زيادة المخزون لدى البلدان المصدرة لإنتاجها من القطن فأثر هذا بالتالى على الاوضاع الاقتصادية بوجه عام فى هذه البلدان ، سواء أكان ذلك من ناحية تصريف أقطانها أم من ناحية خفض أسعارها ، إذ أن مؤسسة التسليف الأمريكية لتصدير أقطان الحكومة المخزونة تبيع أقطانها بأسعار تقل عن الأسعار السائدة فى الأسواق المحلية الأمريكية .

وإذا كنت قد تحدثت عن الولايات المتحدة من حيث إنتاجها للقطن وسياستها ومركزها الإحصائى حديثا يدخل فى التأثير على أسعاره وحركة تصريفه بمختلف بلدان العالم ، فإنى أجد لزاما علىّ أن أطرق الحديث

عن خواص هذا الإنتاج بإيجاز ، ويكفى أن أذكر أن ضخامة هذا الإنتاج مع قلة الأيدى العاملة وارتفاع أجورها كانت سببا فى استعمال الآلات الميكانيكية لجنى القطن بالولايات المتحدة ، فأدى هذا إلى خفض الرتبة عن ذات الأقطان التى تقطف باليد بما يقدر برتبة كاملة من الرتب الرسمية الأمريكية كما أدى إلى خفض رتبة القطن الأمريكى بوجه عام حتى لقد ألغيت مؤخرا من جدول الرتب الرسمية للأقطان الايلند الأمريكية رتبة « ستركت جود مدلنج » التى تعادل رتبة اكسترا للقطن السورى .

وكانت نتيجة قلة نظافة القطن بالتالى وقلة الأقطان العالية الرتبة أن عمدت كثير من مصانع الغزل إلى تركيب آلات إضافية خاصة بتنظيف القطن ، ولا يخفى ما لهذه الآلات من التأثير على خواص التيلة إلى حد يجعل الغزالين يشترون الأقطان المقطوفة باليد بأثمان أعلى من الأقطان المقطوفة بالآلات مقابل فرق الرتبة وما تتكلفه هذه المصانع من تركيب آلات إضافية للتنظيف مضافة إلى تكاليف العملية .

وأكتفى ، للدلالة على ما وصل إليه القطن الايلند الأمريكى من مركز مهدد بالمنافسة من البلدان الأخرى المنتجة بأن أورد النداء الذى وجهه مؤخراً رئيس المعهد الأمريكى للقطن إذ قال :

« إن على القطن الأمريكى أن يقاوم منافسة الأقطان الأجنبية التى قوى مركزها فى الأسواق العالمية بفضل ماتقوم به أغلب الدول التى تنتج القطن من أبحاث وتجارب تهدف إلى تحسين إنتاجها ، فيجب على منتجى القطن فى أمريكا أن يسعوا إلى تحسين أصنافهم وخفض نفقات الإنتاج وزيادة صادراتهم وإلا اضطروا إلى الاكتفاء بتصدير الكميات التى عجزت البلدان الأخرى عن توريدها » .

وإذا ما بحثنا عن البلدان التى يعنيها رئيس المعهد الأمريكى للقطن لوجدنا أن إقليم سورية يعتبر أكثر هذه البلدان نشاطا ، فى خلال العشر السنوات الأخيرة حقق هذا الإقليم إحدى معجزات الإنتاج الزراعى ، كما يتضح ذلك من الرسم البيانى التالى :

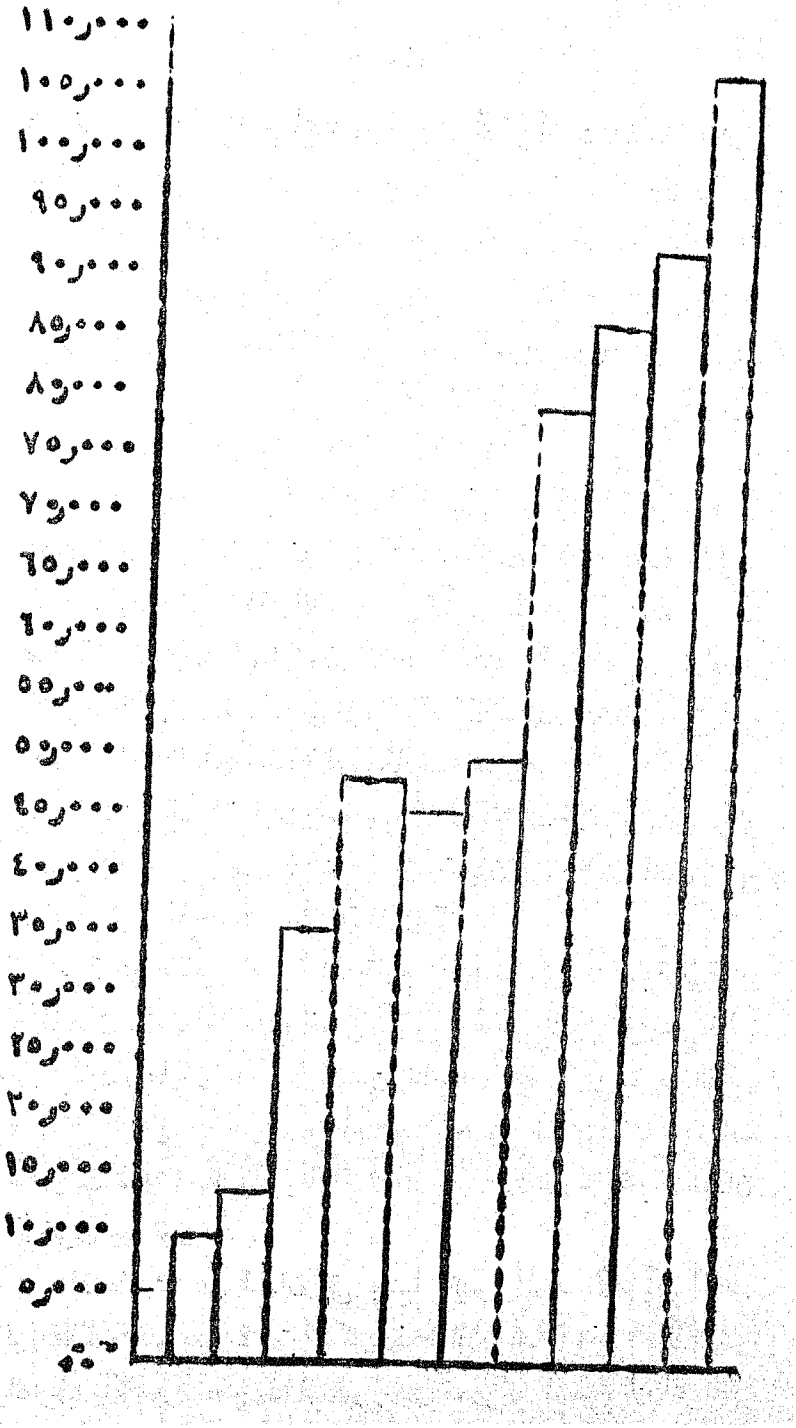
١١٠٫٠٠٠
١٠٥٫٠٠٠
١٠٠٫٠٠٠
٩٥٫٠٠٠
٩٠٫٠٠٠
٨٥٫٠٠٠
٨٠٫٠٠٠
٧٥٫٠٠٠
٧٠٫٠٠٠
٦٥٫٠٠٠
٦٠٫٠٠٠
٥٥٫٠٠٠
٥٠٫٠٠٠
٤٥٫٠٠٠
٤٠٫٠٠٠
٣٥٫٠٠٠
٣٠٫٠٠٠
٢٥٫٠٠٠
٢٠٫٠٠٠
١٥٫٠٠٠
١٠٫٠٠٠
٥٫٠٠٠
٠٠٠

أى أن إنتاج إقليم سوريه فى الموسم الحالى الذى يقدر بـ ١٠٦ آلاف طن محلوج وهو نحو ٤٥٠ ألف بالة يعادل ١½ ٪ من جملة إنتاج العالم الحر الذى يقدر بـ ٢٨ مليونا و ٨٠٠ ألف بالة .

وقد بلغ معدل إنتاج الهكتار فى الموسم الحالى ٤١٥ كج محلوجا ، وهذا المعدل يعتبر مرتفعا نسبيا إذا قيس بما يعادله فى البلدان الاخرى المنتجة للقطن .

ولا يكفى أن نشير إلى تقدم إنتاج القطن بإقليم سورية كمية دون أن نوضح مزايا هذا الإنتاج نوعا ، فلقد كان الطول المتوسط للقطن السورى حتى عام ١٩٥٣ يقدر ببوصة واحدة ، فلما اقتصرت زراعة القطن منذ عام ١٩٥٤ على صنف الكوكر ١٠٠ ولت فى جميع مناطق الإقليم بدأت الحكومة والمزارعون فى تنفيذ مشروعات الرى وتقدمت وسائل الزراعة ، وبدأ أثر ذلك واضحاً فى طول التيلة ، فأصبح الطول المتوسط للمحصول ١½ بوصة ، وطول القطن السورى فى الزراعات البعلية نحو بوصة ، أما فى الزراعات السقى فيتراوح بين ١ و١¼ بوصة . ولقد أمكن فى الموسم الحالى إعداد وتصدير كميات بطول ١¼ بوصة ، وهذه الكميات وإن كانت بسيطة ومحدودة إلا أنها تعتبر خير دعاية لمصدريها بوجه خاص وللقطن السورى بوجه عام .

أما رتبة الأساس للمحصول فقد كانت قبل عام ١٩٥٣ تعادل رتبة فجف / ج (حسب الرتبة المصرية) فتقدمت رتبة الأساس نظراً إلى العناية بطريقة جنى القطن وإجراء عملية الجنى على دفعتين أو ثلاث جنيهات حتى أصبحت فى محصول عام ١٩٥٥ تقدر برتبة جـ ½ ، ونظرا لإصابة محصول عام ١٩٥٦ بالصقيع الذى سبب تفتحا غير طبيعى فى الجوزات واصفرارا فى لون أقطانها .

ونظراً إلى إصابة محصول عام ١٩٥٧ بالأمطار التى جاءت مبكرة وقت تفتح الجوزات فسببت التبقع باللون الأصفر فى أقطانها ، فإن لكل هذه الأسباب الجوية الطارئة لم تتحسن رتبة الأساس عن ذلك ، بل بقيت كما هى عليه .

أما من ناحية الخواص الطبيعية لألياف القطن السورى فإنه يتمتع بخواص جيدة من ناحية المتانة والنعومة ودرجة النضج ، ونسبة الانتظام ، وذلك بالنسبة للأقطان الابلند الأمريكية .

ولقد أدى اهتمام الحكومة بهذا المحصول الذى أولته اهتماما بالغا فى مراقبة إنتاجه وفرزه وتصنيفه أو حلجه أو مراقبة تصديره ، والتكاتف الذى وجده من جميع المشتغلين به وتآزرهم مع الحكومة للنهوض بهذا المحصول الذى طغى على غيره من محاصيل الإقليم حتى احتل المنزلة الأولى فى اقتصاديات البلاد — أدى كل ذلك إلى أن قفزت شهرة القطن السورى حتى احتل مكانة عالية بين الأقطان المماثلة من الأصناف الابلند الأمريكية فصارت تدفع له فى الأسواق العالمية أسعارا مرتفعة بالنسبة لمثيله مما تنتجه البلدان الأخرى ، إذ كانت أسعاره مثلا فى بداية الموسم الحالى نحو ٢٦,٧٥ بنسا للبرة تسليم اللاذقية لرتبة وطول الأساس (جـ — ½ بطول ١½ بوصة) ثم تحسنت الأسعار بسبب الظروف العالمية ورداءة المحصول الأمريكى وانخفاض تقديراته حتى بلغ السعر للمبيعات الأخيرة ٢٨ بنسا للبرة.

كما وجد القطن السورى نشاطا فى تصرفه بحيث لم يبق من محصوله فى أى عام من الأعوام الماضية أية فضلة تقريبا للموسم التالى .

وإذا ما استعرضنا حركة تصريف القطن السورى فى الموسم الحالى حتى أول شهر مارس ١٩٥٨ وجدنا أن الكميات التى تم التعاقد عليها تقدر بنحو ٨٨ ألف طن صدر منها حتى التاريخ المذكور ٦١٧٠٦ أطنان ، أما الباقى فجار تصديره .

كذلك إذا أضفنا إلى ذلك كمية ١٢ ألف طن اشترتها المغازل المحلية لاستهلاكها لاتضح لنا أن الكمية المتبقية من الموسم الحالى برسم البيع للخارج تقدر بنحو ستة آلاف طن ينتظر التعاقد على بيعها خلال شهر مارس أو حتى نهاية موسم الحلج (آخر أبريل) على أكثر تقدير .

ويجرى تصريف القطن السورى لعدد كبير من البلدان المستوردة ، وفيما يلى توزيع الكميات المبيعة المشار إليها :

البلدان	بالطن
فرنسا	٢١١٥٦
الصين الشعبية	١٧٥٠٠
الاتحاد السوفيتى	١٧٠٠٠
ألمانيا الغربية	٧٩٢٣
تشيكوسلوفاكيا	٥٢٤٢
اليابان	٤٧٤٣
بلغاريا	٢٥٢٦
هنغاريا	٢١٥٠
إيطاليا	١٨١٤
انكلترا	١٠٨٢
ألمانيا الشرقية	١٠٠٠
سويسرا	٤٠٤
بولونيا	٤٠٠
رومانيا	٣٥٠
بلجيكا	١١٢
دول أخرى	٢١١
لبنان ودول أخرى عن طريق لبنان	٤٥١٤
الجملة	٨٨١٧٧

وصفوة القول أن سرعة تصريف المحصول على النحو المشار إليه بأسعار حسنة نسبيا أعظم دليل على مايتمتع به القطن السورى فى الأسواق العالمية من مكانة .

ونأمل بفضل اتحاد الإقليمين المصرى والسورى فى جمهورية واحدة والقيام بمشاريع الرى والمشاريع الزراعية المزمع تحقيقها فى السنوات المقبلة بمشيئة الله أن يزداد الاطراد المستمر فى إنتاج القطن السورى وتتحسن صفاته وتعلو مكانته .